تقديم

كان ممكنًا في الماضي القول: إن (الابتكار التعليمي) يتناظر مع الجمع بعبارتين متناقضتين؛ لأن الرؤية بخصوص مهمة التعليم الرسمي كانت تتلخص بتحضير الأجيال الجديدة من الطلاب لمستقبلهم بدراسة الماضي؛ وذلك مفهوم يحتاج الآن إلى التعديل، حيث حاجج ماثيو آرنولد (Matthew Arnold, 1822-1888) بقوة في أن دراسة «الأفضل الذي فُكِّر فيه وقيل» حتى الآن في العالم، سيكون منصة مثالية للتطوير الثقافي للمواطنين الذين يواجهون الفوضى التي ترافق التصنيع، والمادية، والفردية الناتجة من المجتمع الحديث.

هل تُعدُّ المظاهرات العنيفة التي عمَّت شوارع دول كثيرة من العالم، دليلًا على فشل الأنظمة التعليمية في تلك الدول؛ لأنها لم توجد التوازن المناسب بين التعليم الثقافي التقليدي (حلم آرنولد) والتعليم الابتكاري الديناميالذي يطور نقاط وصل وثيقة بين المجتمع المعاصر (ومتطلباته) والمؤسسات التعليمية؟

إن التوتر حول أسطورة الماضي شائع، شرط أنه يجدد من أجل الحاضر والمستقبل، وقد نسأل لماذا يتأخر العالم التعليمي طويلًا في تبني أدوات التقنيات الرقمية ومنافعها؛ كما استَحْوذَت عليها عوالم المال والصناعة والطب بصورة ملحوظة منذ عقود مضت، هل هي المحافظة المفرطة؟ وهل ذلك مثال عن سياسة النعامة التي تدفن رأسها في

التراب خوفًا من خطر داهم؟ أم قيادة غير موفقة؟ وبغض النظر عن السبب، أو الأسباب، فمن المستحيل الآن تجاهل التأخر ونتائجه.

إن عمل موتا وسكوت هذا هو (خريطة مناطقية) للتعلم، وبعيدًا عن كونه موسوعيًّا أو يضم قائمة شاملة حالات في كلا البلدين اللذين يركزان عليهما، فإنهما يوفران مراجعة غاية في الوضوح والدقة عن الأفكار الرئيسة وأفضل تلك الأفكار التي كانت مهمة في القرن الماضي، ولا تزال مهمة. وعن طريق نقاش شامل يمكن لمستواه المجرد العالي أن يغطي المستويات التعلمية والمعرفية والقانونية المتنوعة، فإن الملخص الغني الذي يغطي موضوعًا معقدًا بتعقيد موضوع (التعليم) ليتمتع بقيمة عظيمة، وستُمكِّن قراءة هذا الجزء من الكتاب -في محاولة رسم الحدود- المهني المتدربَ في حقول معرفية غير التعليم الذي يود أن يصبح معلمًا، من فهم الأفكار والنظريات المعاصرة المتداولة عن التعلم التي يتعارض معظمها مع بعضه، وستمكن دراسة هذا المحتوى المربين من تحديد صور المتناقضات، والتعارضات، والفجوات في ممارساتهم الحالية؛ ومن ثم تبرير محاولاتهم للابتكار منى خلال تجريب حلول جديدة.

لا يلوك موتا وسكوت الكلمات؛ ولا يحاولون إرضاء الداعمين من مدارس مختلفة من الفكر التربوي ولا يدعمون أيضًا (خرافات الابتكار) المعروفة التي ترى أن الراكضين وراء الابتكار يقومون بأفعالهم بمساعدة (التجسيدات) أو (التجليات الإلهية)، أو خرافة أخرى تدعي بأن الابتكار هو فقط تلك المقترحات التي ابتكرها أفراد منعزلون، وبلا دعم من الآخرين؛ إنهما يعرفان الابتكار على أنه (تطبيق الأفكار الناجحة)، ويريان أيضًا أن عملية الابتكار تمر بمراحل عديدة، وصفها المؤلفان باقتضاب، وبصورة مشابهة فهما يقترحان نموذجًا ممتعًا لتعليم الابتكار يشبه عملية التصميم، والمواطنة، وأساليب مهارات التعليم المستخدمة على نطاق واسع اليوم.

ربما كانت ممارسة (الابتكار التعليمي) الشائعة تمامًا، وعمرها قرون في إنجلترا، والمفقودة تمامًا في البرازيل هي (التعلم المستقل) الذي يشير إلى تقدم التقنيات الرقمية، وإلى أهمية التواصل المتزامن والأنظمة (الذكية) التي قد تكون قادرة- على سبيل المثال- على تصحيح عمل الطالب وتقييمه نوعيًّا بلا تدخل (إنساني). إن فكرة (التعلم المستقل) تزداد أهمية؛ إذ إن التعلم المستقل، وبدعم من المصادر المتوافرة على الويب؛ ومن ثم الجلوس في الامتحانات، للحصول على شهادة في المعرفة، والمهارات، والمواقف المكتسبة يمثل دائمًا تقدمًا ديموقراطيًّا لملايين الناس، وسيسهم هذا النمط من التعلم في إيجاد قوة عاملة وطنية أكبر، ومجهزة بصورة أفضل في حال البرازيل؛ حيث إن هذه الصورة تتبع الفئة الخاضعة لمنظمة تعليم الشباب والكبار (الأشخاص الذين تزيد أعمارهم على 18 عامًا، ويدرسون في المدارس الأساسية والثانوية في مرحلة متقدمة من أعمارهم).

وباختصار، يقدم هذا الكتاب لجمهور كبير متنوع عرضًا شاملًا لمعرفة الماضي، والحاضر، والمستقبل وعلاقته بالتعلم. وبما أنه كتاب غاية في الوضوح والتألق، فسيلهم محتواه- من غير شك- أولئك المهتمين في التعليم للبحث عن حلول جديدة لمشكلات نمطية وعامة ومحددة، معرّفة تمامًا في هذه الدراسة، ومن أجل ذلك، ونيابة عن قراء المستقبل، أشكر المؤلفين.

فريدرك م. ليتو

Fredric M. Litto

الأستاذ الفخري في جامعة ساوباولو عضو

اللجنة التنفيذية للمجلس الدولي للتعلم المفتوح

وعن بعد، ورئيس الجمعية البرازيلية للتعليم عن

بعد- ABED